القول أحكامه وآثاره في القرآن الكريم
دراسة تحليلية موضوعية

د٠عبد المنعم بن حواس محمد الحواس(*)

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى من سار على هديه واتبع سُنَّته إلى يوم الدِّين.

أهمية البحث

فإن ما يصدر عن اللسان من القول والكلام شأنُهُ عظيمٌ، ووقعُهُ كبيرٌ، وآثارُهُ جليلةٌ على الإنسان في عاجل أمره وآجله، فالقول ومنطق اللسان مخبَرُ الفُهُوم، وميزان الأحلام والنُّهى، وبه يؤاخذ الإنسان ويحاسب عند الله تعالى وعند الناس، ولقد أكَّد الله تعالى أن الإنسان مراقَبٌ في كل قول يقوله، ومحصيٌّ عليه فقال تعالى: {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:١٨] وحينما سئل النبي-صلى الله عليه وسلم- عن أخوف ما يخافه على الإنسان؟ أخذ بلسان نفسه ثم قال: (هذا)(١).

ولأهمية هذا الموضوع فقد رغبتُ البحثَ فيه من خلال التَّتبع والدِّراسة التحليلية والموضوعية للآيات التي تناولت القولَ في القرآن الكريم وسمّيته (القول أحكامه وآثاره في القرآن الكريم-دراسة تحليلية موضوعية) .

أسباب اختيار الموضوع

١- اهتمام القرآن الكريم وعنايته الواضحة بما يصدر عن الإنسان من قول وما ينطق به من لفظ وكلام .

(*) الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الأحساء – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(١) سيأتي تخريجه ص ٣١ .

٢- الأثر العظيم للقول على الإنسان في الدنيا والآخرة .

٣- رغبتي في الدراسة التحليلية والموضوعية للآيات التي تناولت موضوع القول في القرآن الكريم.

٤- إثراء المكتبة التفسيرية ببحث علمي مختصّ .

الدراسات السابقة

لم أقف على دراسة مستقلة تناولت دراسة آيات القول وحديث اللسان من حيث الدراسة الموضوعية والتحليلية في القرآن الكريم، وإنما جاءت بعض الدراسات في الموضوع دراسة عامة من الناحية الشرعية والفقهية .

أهداف البحث

١- دراسة آيات القول في القرآن الكريم دراسة موضوعية تحليلية من خلال أقوال العلماء في التفسير وغيره، وبيان الراجح منها .

٢- بيان أهمية القول في حياة الإنسان الدنيوية، وآثاره في التعامل مع الآخرين.

٣- الوقوف على عاقبة القول في الآخرة، وجزاء قائله في إحسانه أو إساءته .

حدود البحث : آيات القول وكلام اللسان في القرآن الكريم، دراسة تحليلية وموضوعية.

منهج البحث

وأما المنهج الذي سرت عليه في إعداد هذا البحث فهو في الأمور الآتية :

١- درستُ الآيات التي تناولت قولَ اللسان دراسةً تحليلية وموضوعية، من خلال بيان أقوال المفسِّرين والعلماء في أسباب نزولها ومعانيها وتوجيهاتها، وأرجِّح في أكثرها ما أراه راجحاً .

٢- كتبت الآيات في البحث بالرسم العثماني وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وعزوتُ الآيات الكريمة الواردة في

البحث إلى سورها وآياتها في القرآن الكريم، فذكرت اسم السورة ورقم الآية في المتن بجوار الآية .

٣- خرَّجتُ الأحاديث الشريفة ، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ به ، وما كان في غيرهما خرَّجته من مظانِّه من كتب السُّنة كالسُّنن والمسانيد وغيرها ، كما حرصت أن أنقل حكم علماء السُّنة على درجته من الصحة .

٤- عزوتُ الآثار والأقوال إلى مصادرها الأصلية من كتب التفسير وغيرها من المراجع المعتمدة .

٥- لم أترجم للأعلام حذراً من إطالة البحث .

٦- جعلتُ الآيات الكريمة بين قوسين هكذا {}، والأحاديث الشريفة بين قوسي هلال هكذا ( )، وعزوت الآيات بين معكوفين هكذا [ ]، والنصوص المنقولة بين علامتي تنصيص هكذا "".

وأما خطة البحث فتتكون من مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة وفهرس :

المبحث الأول : علم الله تعالى وإحاطته بكل قول .

المبحث الثاني : التحذير من قول السوء .

المبحث الثالث : أثر القول في التعامل مع الناس .

المبحث الرابع : الجهر بالسوء من القول لمن ظُلِم .

المبحث الخامس : عاقبة القول في الآخرة .

الخاتمة : وذكرت فيها أهم نتائج البحث .

فهرس المراجع والمصادر .

المبحث الأول

علم الله تعالى وإحاطته بكل قول

نعمة اللّسان :

لقد خلق اللهُ الإنسانَ وفضَّله على كثيرٍ من خلقه، ومن تكريمه تعالى للإنسان وتفضيله أن جعل له لساناً ناطقاً، وشفتين تُعِينان اللّسانَ على منطوقه وكلامه، ليذكر ربَّه تعالى، ويعبِّر به عن مراده ومبتغاه، فقال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ} [البلد:٨،٩] ويتجلَّى في استفهام الآية تقريرُ نعمةِ الله تعالى العظيمة على الإنسان بخلق اللسان، وأنه آلة يجب أن يستعملها الإنسان في طاعة خالقها فيشكره، وليس في معصيته فيكفره، قال قتادة: "قوله: {أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ} نِعَمٌ من الله متظاهرة، يقررك بها كيما تشكره"[(١)]، ويقول المراغي :"{وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ} فإذا أبان عمَّا فى نفسه، فإنما يُبِيْنُ بما وهبنا له من لدنّا من تلك الجارحة التي يتكلم بها، فإذا غرَّه حديثُه، أو قوَّةُ حُجَّته، فليس فضل ذلك راجعاً إليه، وإنما الفضلُ لمن وَهَبَهُ ذلك"[(٢)] .

والله تبارك وتعالى حين خلق هذا اللسان للإنسان، فإنه لم يتركه سُدىً، ولم يجعله هَمَلاً، ولكن جعل عليه من يُحصي قولَه، ويكتب عليه لفظَه، فقال تعالى: {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[ق:١٨] ومعنى {مَّا يَلْفِظُ} أي: ما ينطق ويتكلم،

---

(١) جامع البيان للطبري ١٩٩/٣٠، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٨٢٧٨/١٢.

(٢) تفسير المراغي ١٥٩/٣٠ .

مأخوذ من لَفْظِ الكلام[١]، والرقيب: هو الحافظ الذي يحفظ كلامه، فلا يضيع منه شيئاً[٢]، وفي المراد بالعتيد في الآية ثلاثة أقوال للمفسِّرين :

الأول: أنه الحاضر الذي لا يغيب، قاله ابن قتيبة والسجستاني والماوردي وابن حجر[٣].

الثاني: أنه الثابت اللازم، وهو قول الزجاج[٤].

الثالث: بمعنى: الحافظ ، وهو قول ابن جرير والقصَّاب[٥].

والذي تدلُّ عليه اللغة أن العتيد هو الحاضر، قال ابن دريد :"الشَّيْء العتيد: الْحَاضِر الَّذِي لَا يبرحك"[٦]، وقال ابن فارس :"العَيْنُ والتَّاء والدَّالُ أصلٌ واحدٌ يدلّ على حُضُور وقُرْبٍ، قال الخليل: تقول عَتُدَ الشَّيءُ، وهو يَعْتُدُ عَتَاداً، فهو عَتِيدٌ حَاضِرٌ"[٧].

وفي كتابة الرقيب والعتيد للَفْظِ اللّسان في الآية قولان للمفسِّرين :

الأول: أنَّهما يكتبان كلَّ شيء من لَفْظِ اللّسان، وهو قول مجاهد والحسن وقتادة وعطاء وابن زيد وأبي الجوزاء[٨]، وصوَّبه ابن عطية، قال مجاهد :

---

(١) النكت والعيون للماوردي ٣٤٧/٥ .

(٢) بحر العلوم للسمرقندي ٣٣٥/٣ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢٧٢/٤ .

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٢٣٩ ، غريب القرآن للسجستاني ص٣٣٩، النكت والعيون للماوردي ٣٤٧/٥ ، فتح الباري لابن حجر ٣٠٩/١١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجَّاج ٤٤/٥ .

(٥) جامع البيان للطبري ١٥٩/٢٦ ، النكت الدالة على البيان للقصّاب ١٩٢/٤ .

(٦) جمهرة اللغة لابن دريد ٣٩٠/١ .

(٧) مقاييس اللغة لابن فارس ٢١٦/٤ .

(٨) جامع البيان للطبري ١٥٩/٢٦ ، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٧٠٣٩/١١ ، المحرر الوجيز لابن عطية ١٦٠/٥ .

"يكتبان عليه حتى أَنِيْنَه في مرضه" [(١)] ، وقال الحسن :"يكتب الملكان كلَّ شيء، حتى قولَه لجاريته: اسقيني الماء، وناوليني نَعْلي، أو أعطيني ردائي" [(٢)] .

الثاني: أنهما يكتبان ما فيه ثوابٌ أو عقابٌ، وهو قول ابن عباس وعكرمة[(٣)]، قال ابن عباس

رضي الله عنهما: "إِنَّمَا يكتب الخير والشرَّ، لا يكتب يا غلام أَسْرِج الفرس، ويا غلام اسقني الماء، إِنَّمَا يكتب الخير والشرَّ" [(٤)] .

ولفظ الآية في قوله : {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ} مشعرٌ بالعموم، ويدل عليه قوله تعالى: {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ} [القمر:٥٣] وقوله: {وَيَقُولُونَ يَوَيْلَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا} [الكهف:٤٩] .

إحاطة الله تعالى بقول اللسان :

وفي توكيل الله للملَك الرقيب العتيد بكتابة قول الإنسان وحفظه إنما هو لإقامة الحجة على الإنسان من نفسه على قوله وفعله، وأما الله تعالى فإنه لا يخفى عليه من قول اللسان شيء، يقول تعالى:{ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [الأنبياء:٤] يقول يحي بن سلام: "قال الله للنبي- ﷺ - : قل ربي يعلم القول: يعني: السِّرَّ {فِي السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ

(١) معالم التنزيل للبغوي ٢٧٢/٤ ، التمهيد لابن عبد البر ٣٧/٢١ .

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٢٣٩/٥ .

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٢٧٢/٤ ، شرح النووي على مسلم ١٩/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٣٩/١٩ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩٨/٧ .

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٥٠٥/٢ وصحَّحه ، الأحاديث المختارة للمقدسي ٢٨٠/١٢ .

ٱلْعَلِيمُ }لا أسْمَعَ منه، ولا أَعْلَمَ منه"[1]، قال أبو حيان :" والقول عامٌّ يشمل السِّرَّ والجهر، فكان في الإخبار بعلمه القول علم السِّرِّ وزيادةٌ، وكان آكَدَ في الاطِّلاع على نجواهم من أن يقول يعلم سرَّهم"[2].

ويقول تعالى مبيِّناً أنه يعلم ما يجهر به اللسان من القول وما يسرُّه: {إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ} [الأنبياء:١١٠] وفي هذا البيان الحثُّ على الإخلاص لله تعالى في القول، والابتعاد عن النفاق والكذب، والتحذير لكل من يقول قولاً بأن الله يسمع قوله، ومُطَّلع على ما يكتمه عن الخلق، لكنه لا يخفى على الخالق تعالى، يقول الفخر الرازي :"فالمقصود منه الأمر بالإخلاص وترك النفاق، لأنه تعالى إذا كان عالماً بالضمائر وجب على العاقل أن يبالغ في الإخلاص"[3].

ولتأكيد علمه تعالى بكل ما يلفظه اللسان، وتقرير هذه الصورة في الأذهان، فقد قرن علَمه جل ثناؤه بجهر اللسان وإسراره باستواء الليل والنهار في العلم والإحاطة، فكما أن ظلمة الليل وضياء النهار وما يكون فيهما يستوي في علم الله، فكذلك الحال في جهر القول وإسراره فهما في علمه تعالى سواء، فيقول جل ثناؤه : { سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ} [الرعد:١٠].

وفي معنى قوله: {مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ} قولان للمفسِّرين :

الأول: المستخفي: المستَتِرُ في ظُلمة الليل، والسَّارب بالنهار: الظاهر المتصرّف في حوائجه، يقال : سَرَبت الإبلُ تَسْرِب، إذا مَضَتْ في الأرض

(١) تفسير يحي بن سلام ٢٩٩/١ .

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٤٠٩/٧ .

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ١٩٥/٢٢ .

ظاهرة[١]، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وأبي رجاء[٢]، وبه قال الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة[٣]، ونسبه مكي بن أبي طالب وابن الجوزي إلى أكثر المفسِّرين[٤]، قال الزجاج في هذا المعنى :"وهو أبلغ في وصف علم الغيب"[٥].

الثاني: أن المستخفي بالليل : هو الظاهر، والسَّارب بالنهار: المستتر، من قولهم: انْسَرَبَ الوحشُ،

إذا دَخَل في كناسِهِ[٦]، وهو قول الأخفش وقطرب[٧]، قال ابن عطية: "وهذا القول، وإن كان

تعلُّقه باللغة بيِّناً، فضعيفٌ؛ لأن اقتران الليل بالمستخفي، والنهار بالسَّارب، يردُّ على هذا القول"[٨]، ويرى ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ كلا الوصفين لرجلٍ واحدٍ قال: "هو صاحبُ رِيْبةٍ مستخفٍ بالليل، وإذا خَرَج بالنهار أَرَى الناسَ أنه بريء من الإثم"[٩].

---

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ٢٨٧/١٢ (س ر ب) .

(٢) جامع البيان للطبري ١١٣/١٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٢٢٨/٧ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٦٠/٢، مجاز القرآن لأبي عبيدة ٣٢٣/١، غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٢٥ .

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٣٦٨٨/٥ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤٨٥/٢ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٤١/٣ .

(٦) معاني القرآن للنحاس ٤٧٦/٣ .

(٧) معاني القرآن للأخفش ٤٠٢/٢ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٤١/٣ .

(٨) المحرر الوجيز لابن عطية ٢٩٩/٣ .

(٩) جامع البيان للطبري ١١٣/١٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٢٢٩/٧ .

وعلمُ الله تعالى وإحاطتُهُ بكل قولٍ يقوله الإنسانُ ويلفظه اللسانُ لا يَقِفُ عند الجهر والسرّ، وإنما يتجاوزه إلى ما هو أخفى من السرِّ، فيقول تعالى مؤكِّداً على هذه الإحاطة لجميع الأقوال والألفاظ مهما بلغت في الكتمان والخفاء: {وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى} [طه:٧].

وللمفسِّرين في المراد بقوله: {وَأَخْفَى} خمسة أقوال :

الأول: الذي أخفى من السرّ ما حدَّث المرءُ به نفسَه ولم يعمله، وهو قول ابن عباس والضحاك وعكرمة[(١)]، وبه قال الزجاج[(٢)]، قال ابن عباس :" السرّ: ما أسرّ ابنُ آدم في نفسه، وأخفى: قال: ما أخفى ابنُ آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله، فالله يعلم ذلك، فعِلْمُهُ فيما مضى من ذلك، وما بقي علمٌ واحدٌ، وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفسٍ واحدةٍ، وهو قوله: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ}[(٣)].

الثاني: أن السرَّ ما حدَّثت به نفسَك، وأخفى من السرّ ما لم تحدِّث به نفسَك، وهو قول ابن جبير وقتادة[(٤)].

الثالث: أنه تعالى يعلم سرَّ العباد، وأخفى سرَّ نفسه، فلم يُطلِع عليه أحداً، وهو قول زيد بن أسلم وابن زيد[(٥)]، ولم يرتضه ابن جرير قال :"ولو كان معنى

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٣٩٠/٢ ، الكشف والبيان للثعلبي ٢٣٨/٦ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦/١٤.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٥٠/٣ .

(٣) جامع البيان للطبري ١٣٩/١٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٤١٦/٧ .

(٤) تفسير يحي بن سلام ٢٥٣/١ ، تفسير القرآن لعبد الرزاق ٣٦٧/٢ .

(٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب ٣٧/١، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٤٦١٤/٧، تفسير القرآن للسمعاني٣٢١/٣.

ذلك ما تأوَّله ابنُ زيدٍ لكان الكلام: وأخفى الله سرَّه، لأن أخفى فعلٌ واقعٌ متعدّ"[1].

الرابع: السرُّ: ما أسرَّه الإنسان من الناس، وأخفى: الوسوسة، وهو قول مجاهد[2].

الخامس: أن السرّ هو العزيمة، وأخفى: هو الهمُّ الذي هو دون العزيمة، ذكره الماوردي والسمعاني[3].

والذي يدل عليه سياقُ الآية أن المراد بما هو أخفى مما يسرّه الإنسان من حديث نفسه، وذلك أن القول منه ما يجهر به، ومنه ما لا يسمعه إلا القريب الملاصق للقائل، وهو السرُّ والنجوى، ومنه ما يحدّث الإنسانُ به نفسَه، وذلك لا يعلمه أحدٌ من الناس، ولكنه لا يخفى على الله تعالى، يقول الفخر الرازي: إنّ قوله: {وَأَخْفَى} بناء المبالغة، وعلى هذا القول نقول: إنَّه تعالى قسَّم الأشياء إلى ثلاثة أقسام: الجهر، وَالسِّرِّ، والأخفى، فيحتمل أن يكون المراد من الجهر القول الَّذي

يجهر به، وقد يُسَرُّ في النَّفس، وإن ظهر البعض، وقد يُسَرُّ ولا يظهر"[4].

ومن إسرار القول والنَّجوى الذي لا يسمعه المحيطون بالقائل، وأخبرنا القرآن الكريم أن الله سمعه ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة:١] عن عائشة رضي الله عنها قالت: "الحمد للَّه

---

(١) جامع البيان للطبري ١٤١/١٦ .

(٢) جامع البيان للطبري ١٤٠/١٦ ، معالم التنزيل للبغوي ٢٥٦/٣ ، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٧٧/١٣.

(٣) النكت والعيون للماوردي ٣٩٤/٣ ، تفسير القرآن للسمعاني ٣٢١/٣ .

(٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ١٠/٢٢ .

الذي وسع سَمْعُهُ الأصواتَ، لقد جاءت المجادِلةُ إلى النَّبيّ ' تُكلّمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول: فأنزل الله عزّ وجلّ: {قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا}[1].

وفيما تقدم من الآيات أدلَّةٌ قاطعةٌ وبراهينُ واضحةٌ على عظيم قدرة الله تعالى وإحاطة علمه بكل قول، ما ظهر منه وما خفي، وهو ما يجب أن يستقر في قلب كل مؤمن فيُرِي اللهَ من نفسه خيراً في سرّه وجهره، وأن لا يجعل نظر الخلق هو همّه في مراعاة ما يَلْفِظ به، كما هو حال المنافقين الذين شنَّع الله عليهم لاستحيائهم من الناس وعدم استحيائهم من الله فيما يقولون فقال تعالى: { يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ } [النساء:١٠٨] يقول الزمخشري :"وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم، مع علمهم – إن كانوا مؤمنين – أنهم في حضرته؛ لا سترة ولا غفلة ولا غيبة، وليس إلا الكشف الصريح والافتضاح"[2].

وذكر المفسِّرون في سبب نزول الآية أن طعمة من بني ظفر بن الحارث، وكان منافقاً، سرق دِرْعاً، ودبَّر مع قومه أن يرمي اليهودي بسرقتها، وقالوا :

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٦/٦، والبخاري مختصراً في الصحيح ١١٧/٩ ، وابن ماجة في السنن ٦٧/١ (١٨٨)، وابن أبي عاصم في السنة ٢٧٨/١ (٦٢٥)، والنسائي في السنن ١٦٨/٦ (٣٤٦٠)، وفي السنن الكبرى ٢٧٦/٥ (٥٦٢٥)، وابن خزيمة في التوحيد ١٠٦/١ ، والآجريّ في الشريعة ١٠٨٥/٣ (٦٦١)، والبيهقي في الأسماء والصفات ٤٥٧/١ (٣٨٥)، والحاكم في المستدرك ٥٢٣/٢ (٣٧٩١) وقال :"هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يُخَرّجاه"، ووافقه الذهبي، وقال ابن الملقن في البدر المنير ١٤٥/٨ : "هذا الحديث صحيح"، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل ١٧٥/٧ .

(٢) الكشَّاف للزمخشري ٥٦٣/١ .

"نرفع الأمرَ إلى النبي ﷺ ، فإنه يسمع قول طعمة ويمينه، لأنه مسلم، ولا يسمع قول اليهودي، لأنه كافر". فلم يرض الله تعالى ذلك منهم، فنزلت الآية في ذمّهم[١] .

والتَّبْييتُ في اللُّغة: إحكامُ الأمرِ وتدبيره بلَيلٍ[٢]، وفي المراد به في الآية قولان للمفسِّرين:

الأول: أي: يؤلِّفون ما لا يرضى من القول، وهو قول السُّدي وأبي رزين وابن جرير[٣] .

الثاني: بمعنى: يبدِّلون كلامَهم الذي قالوا ، قال ابن عباس :"يريد ما أُضمر في قلوبهم غير ما يقولون"[٤]، ويقول الراغب الأصفهاني: "معنى الآية: أنهم يبذلون الطاعة قولاً، فإذا خرجوا من عنده عليه الصلاة والسلام دبَّروا أن يفعلوا خلافَ ما قالوا"[٥] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠١/٢ ، التفسير الوسيط للواحدي ١١٢/٢ ، معالم التنزيل للبغوي ٦٩٩/١.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٣٢/١ ، معاني القرآن للنحاس ١٣٧/٢ .

(٣) جامع البيان للطبري ٢٧١/٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٠٦١/٤ .

(٤) التفسير الوسيط للواحدي ٨٦/٢ .

(٥) تفسير الراغب الأصفهاني ١٣٤٦/٣ .

المبحث الثاني

التحذير من قول السوء

خيرية اللسان :

إنَّ خيرية قول اللسان هي فيما يصدر عنه من المقول، وخير مقول يلفظه اللسان هو ما كان في ذكر الله وما يقرب إليه تعالى، ولهذا أمر الله العباد أن يكون أكثر قولهم ذكرُه تعالى، فقال جل ثناؤه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا} [الأحزاب:٤١] وامتدح الله تعالى المكثرين لذكره بألسنتهم فقال: {وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ} [الأحزاب:٣٥] .

وكما أن المسلم مأمور بأن يكون أكثر قوله في ذكر الله تعالى، فهو مأمور أيضاً أن يعدل في قوله ومنطوقه وما يلفظ به لسانُه فقال تعالى: {وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ} [الأنعام:١٥٢] فهذا أمرٌ إلهي وتوجيه رباني لكل صاحب قول أن يعدل فيما يقول، وأن لا يصرفه عن هذا العدل عاطفةُ قرابةٍ أو تأثيرُ صداقة، يقول ابن جرير :" يعني تعالى ذكره بقوله: {وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ}: وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم، واعدلوا وأنصفوا ولا تجُورُوا، ولو كان الذي يتوجَّه الحقُّ عليه والحكم، ذا قرابة لكم، ولا تحملنَّكم قرابةُ قريب أو صداقةُ صديق حكمتم بينه وبين غيره، أن تقولوا غير الحق فيما احتكم إليكم فيه"[(١)] .

وللمفسِّرين في المراد بالقول في الآية المأمور بالعدل فيه ثلاثة أقوال :

الأول: أن المراد بالقول هو الحكم والقضاء بين الناس، بمعنى : إذا حكمتم فأنصفوا واعدلوا بين الناس، كما في قوله تعالى : {وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ} [النساء:٥٨]، وهو قول ابن جرير ومكي بن أبي طالب[(٢)] .

---

(١) جامع البيان للطبري ٨٦/٨ .

(٢) جامع البيان للطبري ٨٦/٨ ، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٢٢٤٢/٣ .

الثاني: الصدق في الشهادة، كما في قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ} [النساء:١٣٥] وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد والشافعي[١].

الثالث: التوسط والصلح بين الناس، فلا تميلوا فيه لأحد الطرفين، ذكره الماوردي وابن عطية[٢]. والذي أرى أن لفظ القول في الآية لا يختص بأحد الأنواع المذكورة، ولا غيرها، فالأمر بالعدل أمرٌ عامٌّ في كل قول، فهو يشمل هذه الأنواع وغيرها من نقل الأخبار والأحكام الشرعية وفي البيع والشراء والمخاصمات وغير ذلك، يقول الخازن :"إن الأمر بالعدل في القول هو أعمّ من الحكم والشهادة، بل يدخل فيه كلُّ قول حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من غير زيادة فيه ولا نقصان، وأداء الأمانة، وغير ذلك من جميع الأقوال التي يُعتمد فيها العدل والصدق"[٣]، ويقول أبو حيان: "وتخصيصه بالحكم أو بالأمر أو بالشهادة أقوالٌ لا دليلَ عليها على التخصيص"[٤].

سلامة القول :

ولئن كان المسلم مأموراً بأن يجتنب قولَ السوء والميلَ في لَفْظِه في حال الرخاء وخطاب العُقلاء، فإنه مأمورٌ به أيضاً عند مخاطبة الجُهَّال والسُّفهاء، يقول تعالى : {وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا} [الفرقان:٦٣] قال الحسن : "حُلماء لا يجهلون، وإن جُهِل عليهم

---

(١) تفسير الشافعي ٨٤٢/٢ ، جامع البيان للطبري ٨٧/٨ ، التفسير الوسيط للواحدي ٣٣٨/٢ .

(٢) النكت والعيون للماوردي ١٨٨/٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية ٣٦٣/٢ .

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ١٧٢/٢ .

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ٦٨٩/٤ .

حلموا، ولم يسفهوا"[(١)]، وقال قتادة : {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا} أهل حياءٍ وكرم، يَعْفُون، ويُكنُّون"[(٢)].

وفي معنى {قَالُوا۟سَلَـٰمًا} أربعة أقوال للمفسّرين :

الأول: بمعنى: قالوا سَدَاداً، وهو قول مجاهد وسفيان الثوري[(٣)].

الثاني: قالوا: وعليك السلام، وهو قول الضحاك والحسن[(٤)]، قال الأصم: "سلام توديع، لا تحية"[(٥)].

الثالث: أنه طلب المسالمة، كأنهم قالوا تسلُّماً منكم لا نجاهلكم، وهو قول الزجاج، وحكاه الماوردي عن ابن بحر[(٦)].

الرابع: بمعنى: قالوا قولاً يسلمون فيه من الإثم، وهو قول مقاتل بن حيان[(٧)].

وهي أقوال متقاربة غير متنافرة، يجمعها عدم الرد بالقول السوء، والإعراض عن جهالة السفهاء، وأنهم لا ينطقون إلا بما فيه سلامة دينهم وعاقبة أمرهم، ويقطعون على الشيطان مراده فيهم، كما قال الله تعالى عنهم : {وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى

---

(١) تفسير يحي بن سلام ٤٨٩/١ ، جامع البيان للطبري ٣٥/١٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٧٢٣/٨ .

(٣) تفسير سفيان الثوري ص٢٢٧ ، تفسير القرآن من الجامع لابن وهب ١٤/١ ، تفسير ابن فورك ٢٠٨/١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٧٢٢/٨، الكشف والبيان للثعلبي ١٤٥/٧ ، النكت والعيون للماوردي ١٥٤/٤.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي ٤٨١/٢٤ ، البحر المحيط لأبي حيان ١٢٦/٨ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٧٤/٤ ، النكت والعيون للماوردي ١٥٤/٤ .

(٧) التفسير الوسيط للواحدي ٣٤٥/٣ ، معالم التنزيل للبغوي ٤٥٤/٣ ، زاد المسير لابن الجوزي ٣٢٧/٣ .

ٱلْجَٰهِلِينَ } [القصص:٥٥] وقال أيضا: { وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا } [الفرقان:٧٢] قال ابن كثير: "أي: إذا سَفه عليهم الجُهَّال بالسَّيِّئ، لم يقابلوهم عليه بِمِثْلِه، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً"(١).

ومن القول الخبيث الذي نهى الله المؤمنين عنه، وحذَّرهم من سوء عاقبته قول الزور فقال تعالى: {فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ } [الحج:٣٠]، والزُّوْرُ من الزَّوْرِ والإِزْوِرَار، وهو الميل والانحراف(٢)، وللمفسّرين في المراد بقول الزور في الآية سبعة أقوال :

الأول: الشرك بالله تعالى، وهو قول أبي مالك ومقاتل بن سليمان ويحي بن سلام(٣).

الثاني: الكذب، وهو قول ابن عباس ومجاهد وابن جريج(٤).

الثالث: شهادة الزور، وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه(٥).

الرابع: النِّفاق، قاله الماوردي معلِّلاً بأنه إسلام في الظاهر، زورٌ في الباطن(٦).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢٢/٦ .

(٢) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ١٦٣/١٣(باب الزاي والراء) ، الصحاح للجوهري ٦٧٣/٢ (زور) .

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ١٢٣/٣ ، تفسير يحي بن سلام ٣٧٠/١ ، زاد المسير لابن الجوزي ٢٣٥/٣ .

(٤) تفسير مجاهد ص٤٨٠ ، جامع البيان للطبري ١٥٤/١٧ ، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٤٨٨٣/٧ .

(٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب ١٣٣/١، التفسير الوسيط للواحدي ٢٧٠/٣ ، معالم التنزيل للبغوي ٣٣٨/٣ .

(٦) النكت والعيون للماوردي ٢٢/٤ .

الخامس: قولهم: إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك، ذكره مكي بن أبي طالب[(١)].

السادس: قول المشركين: هذا حلال وهذا حرام، وما أشبه من افترائهم، وهو قول الزجاج[(٢)].

السابع: عبادة المشركين، حكاه الماوردي عن النقاش[(٣)].

وبالنظر إلى سياق الآية نجد أن الله تعالى يبيِّن في مطلعها أن الخيرية عنده في تعظيم حرماته {ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ} ثم يؤكد تعالى أن الأصل في الأنعام أنها حلالٌ إلا ما حرَّمه الله منها مما يُتلي علينا، ثم أمر باجتناب قول الزور وهو الإشارة إلى ما كانوا يفعلونه من تحريم بعض الأنعام من البحيرة والسائبة وغيرها وقولهم من تلقاء أنفسهم: هذا حلال وهذا حرام، يقول الزجاج :" والآية تدل – واللَّه أعلم – على أنهم نُهُوا أن يُحرِّمُوا ما حَرَّم أصحابُ الأوْثانِ نحو قولهم: {مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا} [الأنعام:١٣٩]، ونحو نحرهم البَحيرَةَ والسائِبَةَ، فأعلمهم اللَّه أنَّ الأنْعَامَ مُحَلَّلَة إلَّا ما حرَّمَ اللَّهُ منها، ونهاهم الله عن قول الزور، أن يقولوا: هذا حلال وهذا حرام، لِيَفْتَروا على اللَّهِ كَذِباً"[(٤)]، ويقول ابن عطية: "ويظهر أن الإشارة في زور أقوالهم في تحريم وتحليل مما كانوا قد شرعوه في الأنعام"[(٥)].

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٤٨٨٣/٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٢٥/٣ .

(٣) النكت والعيون للماوردي ٢٢/٤ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٢٥/٣ .

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية ١٢٠/٤ .

ويعتبر قول الزور من أكبر الكبائر؛ فعن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: ذكر رسول اللَّه ' الكبائر، أو سئل عن الكبائر فقال: (الشرك باللَّه، وقتل النَّفس، وعقوق الوالدين، فقال: ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال: قول الزّور، أو قال: شهادة الزّور)[(١)]، قال القرطبي :"شهادة الزُّور هي الشَّهادة بالكذب ليتوصَّل بها إلى الباطل؛ من إتلاف نَفْسٍ، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال، فلا شيء من الكبائر أعظم ضرراً منها، ولا أكثر فساداً بعد الشرك باللَّه"[(٢)].

وإذا كان قول الزور هو الكذب والافتراء في القول ليتوصل به إلى الباطل، فإن شناعته وسوء

عاقبته تَعْظُم إذا كان قولَ زُورٍ ليُفترى به على الله، وقد حذَّر القرآنُ الكريم الذين يُطلقون القولَ لألسنتهم في التحليل والتحريم كذباً على الله تعالى، فقال جل شأنه: {وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} [النحل:١١٦] أي: لا تحرموا وتحلِّلوا بمجرد قولٍ تَنْطُق به ألسنتُكم من غير دليلٍ من الله ولا حُجَّة، يقول الماتريدي :"في هذه الآية دلالةٌ ألا يَسَعَ لأحدٍ أن يقول: هذا مما أحلَّه اللَّه وهذا مما حرَّمه اللَّه؛ إلا بإذن من اللَّه"[(٣)]، ويقول ابن كثير :" ويدخل في هذا كلُّ من ابتدع بدعةً ليس له فيها مُستند شرعي، أو حلَّل شيئاً ممَّا حرَّم اللَّه، أو حرَّم شيئاً ممّا أباح اللَّه، بمجرّد رأيه وتشهّيه"[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأدب، (٥٩٧٧) باب: عقوق الوالدين من الكبائر، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، (١٤٤) باب بيان الكبائر وأكبرها .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٤١٢/١٠ .

(٣) تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي ٥٨٧/٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٠٩/٤ .

ومن القول الذي شنَّع الله على أصحابه، وحذَّر المؤمنين من تلقّيه والتحدّث فيه، القولُ والطَّعنُ في أعراض المؤمنين والمؤمنات، ويزداد قبحُ القول الله وتَعْظُم فظاعتُه إذا كان موجَّهاً إلى أمَّهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ، ففي حادثة الإفك التي نسجها المنافقون للطعن في عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أنزل الله في سورة النور براءتها من قولهم الشنيع وكلامهم الوضيع، وبيَّن تعالى أن هذا الطعن مجرد قول لا يتجاوز الألسنة والأفواه لكن وَقْعَه عند الله عظيمٌ، فقال تعالى : {إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ} [النور:١٥] ومعنى: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ} أي: تقبلونه ثم تتحدَّثون به لينتشر بين الناس، ولذا قال مجاهد وأكثر المفسِّرين في معناها :"تروونه بعضكم عن بعض"[(١)]، وهذا القبول والتحدّث به هو ما وقع الملام عليه، يقول ابن عطية "والتلقي من لسانٍ إلى لسان، والإفاضة في الحديث هو الذي وقع العتابُ فيه"[(٢)].

وقرأت عائشة رضي الله عنها {إذ تَلِقُوْنَه بألسنتكم} من وَلَقَ يَلِقُ، إذا أَسرَعَ في الكذب[(٣)].

ثم لما نهاهم الله عن تلقّي هذا القول والخوض فيه، بيَّن لهم ما يجب عليهم أن يقولوا، وما ينبغي أن تنطق به ألسنتهم عند سماع مثل هذا الكلام، فقال تعالى: {وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ } [النور:١٦] قال مقاتل بن سليمان :"يعني: هلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ، يعني القذف، قلتم:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ١٩٠/٣، تفسير يحي بن سلام ٤٣٣/١ ، جامع البيان للطبري ٩٨/١٨ .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١٧١/٤ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٢٤٨/٢ ، تفسير ابن فورك ١٢٧/١ ، معالم التنزيل للبغوي ٣٩٤/٣ .

ما يَكُونُ لَنا، يعني: ما ينبغي لنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا الأمر، هلا قلتم مثل ما قال سعد بن معاذ رضي الله عنه، وذلك أن سعداً لما سمع القولَ في أمر عائشة قال: سُبْحانَكَ هذا بُهْتانٌ عَظِيمٌ"[(١)] .

ومن القول الذي نُهي عنه المؤمن القول الذي يسوء الوالدين ويُكدِّر خاطِرَهم، حتى بلغ تحذير القرآن من هذا القول إلى أدنى كلمةٍ يُمكن أن يتلفَّظ بها الابن تضجراً من والديه فقال تعالى : {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء:٢٣] قال الأزهري :"معنى الْآيَة: لَا تَقُل لَهما مَا فِيهِ أَدنى تَبرُّم إِذا كبرا وأسَنَّا، بل تَولَّ خِدْمتَهما"[(٢)]، يقول ابن قتيبة : "الناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون: أفٍّ له، وأصل هذا نَفْخُكَ للشيء يسقُطُ عليك من تُرابٍ أو رَمَادٍ وغير ذلك، وللمكان تُريد إِماطَةَ الشيء عنه لتَقْعُدَ فيه، فقيل لكل مُسْتَثْقَل: أفٍّ لك"[(٣)]، ويقول أبو عبيدة : "أصْلُ التُّفِّ والأُفِّ: الوَسَخُ على الأصابع إذا فتلتهما"[(٤)]، وللمفسِّرين في المراد بالأُفّ في الآية ثلاثة أقوال:

الأول: أنه كل ما غَلُظَ من الكلام وقَبُح، وهو قول ابن عباس ومقاتل بن سليمان، وبه قال الزمخشري[(٥)].

الثاني: أنه استقذار الشيء وتغيّر رائحته، وهو قول مجاهد والكلبي[(٦)] .

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ١٩١/٣ .
(٢) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ٤٢٣/١٥ .
(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٩٦/١ .
(٤) معالم التنزيل للبغوي ١٢٧/٣ ، زاد المسير لابن الجوزي ١٨/٣ .
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٥٢٧/٢ ، التفسير الوسيط للواحدي ١٠٣/٣ ، الكشَّاف للزمخشري ٦٥٨/٢ .
(٦) جامع البيان للطبري ٦٤/١٥ ، النكت والعيون للماوردي ٢٣٨/٣ .

الثالث: أنها كلمة تدلُّ على التضجُّر والتبرُّم، خرجت مخرج الأصوات المحكية، وهو قول ابن الأعرابي والزجاج وابن أبي زمنين والبغوي والبيضاوي[(١)].

والذي يظهر أنها كلمة تشير إلى النَّهي عن أدنى مراتب القول السيء للوالدين، وهو ما يدل على تحريم ما زاد عنها من القول السيء من باب أولى، يقول ابن عطية: "جعل الله تعالى هذه اللفظة مثالاً لجميع ما يمكن أن يقابل به الآباء مما يكرهون، فلم ترد هذه في نفسها، وإنما هي مثال الأعظم منها والأقل، فهذا هو مفهوم الخطاب الذي المسكوت عنه حكمه حكم المذكور"[(٢)].

وحين ينتهي الابن عن أدنى القول المؤذي لوالديه، فإن نفسه تتهيأ للقول الطيب والمنطق الحسن، فقال تعالى بعد ذلك النهي : {وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} يقول الماتريدي :"حين نهاه أن يقول لهما: أُفٍّ، ونهاه أن ينهرهما، فإذا امتنع عن الأُفِّ والنهْر كان بعد ذلك قولاً لطيفاً"[(٣)]، ومعنى القول الكريم في الآية أي: قولاً ليِّناً طيِّباً، يظهر فيه الأدبُ والإكرامُ والتوقيرُ لهما، قال ابنُ جُريج في معنى الآية : "أحسن ما تجد من القول"[(٤)]، وقال قتادة :"أي: قولاً ليِّناً، سهلاً"[(٥)].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٣٤/٣ ، تهذيب اللغة للأزهري ٤٢٣/١٥ ، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١٧/٣، شرح السنة للبغوي ١٥/١٣، أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٥٢/٣ .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٤٤٨/٣ .

(٣) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٢٨/٧ .

(٤) جامع البيان للطبري ٦٥/١٥ .

(٥) تفسير يحي بن سلام ١٢٦/١ ، جامع البيان للطبري ٦٥/١٥ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٣٢٣/٧.

إحسان القول لكل إنسان :

والقرآن الكريم في نهيه المسلم عن القول السيء لايقف عند إساءة القول لوالديه، وأَمْرِهِ بالقول الكريم لهما، وإنما يرتقي به إلى النَّهي عن الإساءة لكل مسلم، والأمر بإحسان القول إليه، فيقول تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [الحجرات:١١] ففي هذه الآية يتجلى حقٌّ من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، رجالاً ونساءً، بأن لا يسخر رجالٌ من رجالٍ، ولا نساءٌ من نساءٍ، بكل قولٍ في الجهر أو السرّ، فربما كان المسخور منه خيراً من الساخر، كما هو الغالب، فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ بمساوئ الأخلاق، يقول القرطبي: "فينبغي ألَّا يجترئ أحدٌ على الاستهزاء بمن يَقْتَحِمُه بعينه إذا رآه رَثَّ الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لَبِيقٍ في محادثته، فلعلّه أَخْلَص ضميرًا وأنقى قلباً ممن هو على ضدّ صفته، فيظلم نفسَه بتحقير من وَقَّرَه اللَّه، والاستهزاء بمن عظَّمه اللَّه"[(١)].

وللمفسِّرين في المراد بالسخرية في الآية ثلاثة أقوال :

الأول: سخرية الغني من الفقير، وهو قول مجاهد ومقاتل بن سليمان[(٢)] قال مجاهد: "لا يهزأ قومٌ بقوم؛ أن يسأل رجلٌ غنياً، أو فقيراً، وإن تفضل رجلٌ عليه بشيء فلا يستهزئ به"[(٣)].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٨٧/١٩ .

(٢) تفسير مجاهد ص٦١١ ، تفسير مقاتل بن سليمان ٩٤/٤ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٦١١ ، جامع البيان للطبري ١٣١/٢٦ .

الثاني: نهيٌ لمن ستر الله عليه أن يسخر ممن كشف في الدنيا سترَه، وهو قول ابن زيد[١].

الثالث: استهزاء الدُّهاة بأهل سلامة القلوب، ذكره الماوردي والسمعاني[٢].

والذي يدل عليه سياق الآية وعموم الأدلة أن النَّهي عن السُّخرية في الآية نهيٌ عامٌّ عن كل سخريةٍ في القول أو الفعل، وهو ما رجَّحه ابن جرير حيث قال: "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله عمّ بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميعَ معاني السخرية، فلا يحلّ لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره، ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك"[٣]، ويقول ابن عطية: "والهُزْءُ إنما يترتب متى ضعف امرؤ؛ إما لصغرٍ، وإما لعلَّة حادثة، أو لرَزِيَّة، أو لنقيصة يأتيها، فنُهِيَ المؤمنون عن الاستهزاء في هذه الأمور وغيرها نهياً عامّاً"[٤].

وتستمر الآية في توجيه المؤمنين بتهذيب أقوالهم وصيانة ألسنتهم عن كل لفظٍ مبتذلٍ قبيح، فيقول تعالى:{ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ} واللَمْزُ: العَيْبُ، وأصله الإشارة بالعين ونحوها، ورجلٌ لَمَّازٌ ولُمَزَةٌ، أي: عَيَّابٌ، والنَّبزُ بالتحريك : اللَّقَب، والجمع الأَنْبَاز، والتنابز: التَّلقُّب، وهو تلقيب الإنسان بما يكره أن يُدعى به[٥]، قال ابن عادل :"وأصله من الرفع، كأن النَّبز يرفع صاحبَه فيُشاهَد"[٦].

---

(١) جامع البيان للطبري ١٣١/٢٦ ، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٧٠٠٢/١١ .
(٢) النكت والعيون للماوردي ٣٣٢/٥ ، تفسير القرآن للسمعاني ٢٢١/٥ .
(٣) جامع البيان للطبري ١٣١/٢٦ .
(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ١٤٩/٥ .
(٥) الصحاح للجوهري ٨٥٩/٣ (لمز) ، ٨٩٧/٣ (نبز)، مقاييس اللغة لابن فارس ٢٠٩/٥ (لمز) .
(٦) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٥٤٦/١٧ .

المبحث الثالث

أثر القول في التعامل مع الناس

القول أقوى وسيلة للتواصل :

لقد جعل الله تعالى التحدُّثَ والقولَ باللسان من أقوى وسائل التواصل بين الناس، وأكثرها تأثيراً في النفوس، وأصدقها في الحكم على الآخرين، وقبل ذلك فإن للقول أثراً على نفس القائل وسلوكه وخُلُقه، وعاجل أمره وآجله، يقول الماتريدي: "وكان اللين في القول أنفذ في القلوب، وأسرع إلى الإجابة، وأدعى إلى الطاعة من الخشن من القول، وذلك ظاهرٌ في الناس؛ لذلك أمر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ رسلَه باللين من المعاملة، والرحمة على خلقه، وجعله سببَ تأليف القلوب وجمعها، وجعل الخشنَ من القول والفظَّ سبب الفرقة بقوله:{وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا} في القول{غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ}[آل عمران:١٥٩]"[(١)] .

ولأجل هذا التأثير البيِّن للقول في علاقة الناس بعضهم ببعض فقد حثَّ القرآن الكريم المؤمنين ورغَّبهم في القول الحسن في جميع أحوالهم، وفي السراء والضراء، وأن لا يفتحوا للشيطان سبيلاً إليهم من خلال اللسان، فيحقق مبتغاه فيهم، فيخيبوا ويخسروا فقال تعالى: :{ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا } [الإسراء:٥٣] ففي هذه الآية يأمر الله المؤمنين فيما بينهم بحسن الأدب في الكلام، وإلانة القول، وخفض الجناح، لما لذلك من أثر بيِّن في المودة بينهم، ودحر نزغات الشيطان، الذي يسعى بإخراج الكلام إلى الفعال، ووقوع الشرِّ والقتال، وقد ذكر المفسّرون في سبب نزولها قولين :

---

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٥١٥/٢ .

الأول: لما قال المسلمون للنبي ﷺ : ائذن لنا في قتال المشركين، فقد طال إيذاؤهم إيّانا بالقول والفعل، فنزلت الآية، قاله ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي[١]، ونسبه السمعاني والكرماني إلى أكثر المفسِّرين[٢].

الثاني: أن رجلاً من الكفار شتم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهمَّ به عمرُ، فنزلت الآية، قاله مقاتل[٣].

وفي المراد بالتي هي أحسن خمسة أقوال للمفسّرين :

الأول : أي: لا يجيب بمثل قول المسيء، وإنما يقول: يرحمك الله، يغفر الله لك. وهذا قول الحسن[٤].

الثاني: هي قول : لا إله إلا الله، وهو قول ابن سيرين[٥].

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذكره الماوردي[٦].

الرابع: المحاورة بالتي هي أحسن، كما في قوله : {وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ} [العنكبوت:٤٦] ذكره الماتريدي وابن عطية[٧]، ونسبه أبو حيان إلى الجمهور[٨].

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٣١٥/٢ ، التفسير الوسيط للواحدي ١١٢/٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠٣/١٣ .

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٢٤٩/٣ ، غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ٦٣٠/١ .

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٥٣٥/٢ .

(٤) جامع البيان للطبري ١٠٢/١٥ ، الكشف والبيان للثعلبي ١٠٧/٦ .

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٣٣٤/٧ ، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنّوجي ٤٠٥/٧ .

(٦) النكت والعيون للماوردي ٢٤٩/٣ .

(٧) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦٢/٧ ، المحرر الوجيز لابن عطية ٤٦٤/٣ .

(٨) البحر المحيط لأبي حيان ٦٧/٧ .

الخامس: الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ذكره الماتريدي[(١)].

والذي يدلّ عليه سببا النزول المتقدِّم ذكرهما أن المراد بالتي هي أحسن في الآية هو عدم مقابلة

القول السيء بمثله، وإنما يجاب بالكلام الطيب والقول الحسن، وهو الذي دلَّ عليه أيضاً قولُه تعالى : {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان:٦٣] .

إتّباع أحسن القول :

وإذا كان المسلم مأموراً بالإعراض عن القول السيء وعدم مقابلته بمثله، فإنه مأمور في المقابل بالاستماع إلى القول الطيب والتجاوب معه، وانتقاء أحسنه في الامتثال والاتباع، فيقول تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر:١٧،١٨] وفي المراد بالقول في الآية خمسة أقوال للمفسّرين:

الأول: هو القرآن، وهو قول الضحاك ومقاتل بن سليمان ويحي بن سلام، وبه قال السمرقندي[(٢)]

الثاني: جميع ما أمر الله به فيتَّبعون أحسنه، قاله الزجاج[(٣)].

الثالث: كلام الناس من الخير والشرّ والحسن والقبيح فيتبعون أحسنه، وينكفُّون عن سيِّئه، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[(٤)].

---

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦٢/٧ .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٦٧٣/٣ ، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٦٣١٩/١٠، النكت والعيون للماوردي ١٢٠/٥، بحر العلوم للسمرقندي ١٨١/٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٤٩/٤ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦١/١٨

الرابع: يستمعون العفو عن الظالم وعقوبته، فيتَّبعون العفوَ ويتركون العقوبةَ، وإن كانت لهم، ذكره مكي بن أبي طالب والبغوي[(١)].

الخامس: أي: يستمعون العزائم والرُّخص، فيتّبعون أحسنها وهي العزائم، ذكره السمعاني والقرطبي[(٢)].

ولعل الأظهر أن المراد بالقول كلُّ كلامٍ يستمعون إليه، فيتَّبعون أحسنَه، ويعرضون عن سيِّئِهِ، ويدلُّ على هذا المعنى ما جاء في سبب نزول الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :"إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه آمن بالنبيﷺ وصدَّقه، فجاءه عثمانُ، وعبد الرحمنُ بن عوف، وطلحةُ، والزبيرُ، وسعيدُ بن زيد، وسعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنهم، فسألوه، فأخبرهم بإيمانه، فآمنوا ونزلت فيهم: {فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ} يعني: من أبي بكر، فيتّبعون أحسنَه"[(٣)]، قال ابن عطية: {ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ} كلامٌ عامٌ في جميع الأقوال، وإنما القصد الثناء على هؤلاء ببصائر هي لهم، وقَوامٍ في نَظَرهم، حتى أنهم إذا سمعوا قولاً ميَّزوه، واتبعوا أحسنه"[(٤)].

ومما يدل أيضاً على أن المسلم إذا لم يجد ما يقدّمه للسائل المحتاج من مال فلا يحرمه من طيب الكلام وجميل المقال بالدعاء والتأنيس والترجية بما عند الله قولُه تعالى: {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا} [الإسراء:٢٨] والقول الميسور في قول أكثر المفسّرين هو الوَعْدُ الحَسَن[(٥)]، قال

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٦٣١٩/١٠ ، معالم التنزيل للبغوي ٨٣/٤ .

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٤٦٤/٤ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦١/١٨ .

(٣) أسباب النزول للواحدي ص٣٦٨ ، معالم التنزيل للبغوي ٨٣/٤ .

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ٥٢٥/٤ .

(٥) تفسير القرآن للسمعاني ٢٣٦/٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٩/٥ .

النحاس: "والمعنى عند أهل اللغة: يَسِّر فقرَهم عليهم بدعائك لهم"[(١)] "أي: إن أعرضتم بوجوهكم عن هؤلاء الذين أمرتم أن تعطوهم حقوقهم من أجل عدمكم، تبتغون انتظار رزق من عند الله فلا تؤيسوهم، ولكن قولوا لهم قولاً ميسوراً، أي: عدوهم وعداً جميلاً؛ بأن تقولوا لهم: سيرزق اللهُ فنعطيكم، وشبه ذلك من القول الليّن"[(٢)]. ولابن زيد توجيهٌ آخرُ في معنى الآية حيث قال : {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ} عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم {ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا} إذا خشيت إن أعطيتهم أن يتقوّوا بها على معاصي الله عزّ وجلّ، ويستعينوا بها عليها، فرأيت أن تمنعهم خيراً، فإذا سألوك {فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا} قولاً جميلاً: رزقك الله، بارك الله فيك"[(٣)]، واستبعد ابن جرير هذا القول معلِّلاً ذلك بأن سخط الله على من كان غير مأمون منه صرف ما أُعطِي من نفقة ليتقوَّى بها على طاعة الله في معاصيه، أخوف من رجاء رحمته له، لأن رحمة الله إنما تُرجى لأهل طاعته لا أهل معصيته[(٤)].

قلت: ويدل سبب النزول على أن الراجح هو قول الجمهور، فقد ذكر السمرقندي ومكي بن أبي طالب وابن العربي أن الآية نزلت في خباب وبلال وعامر بن فهيرة وغيرهم من فقراء المسلمين، كانوا يسألون النبي ﷺ فيُعرض عنهم ويسكت، إذ لا يجد ما يعطيهم، فأُمر أن يحسن لهم في القول، إلى أن يرزقه الله ما يعطيهم[(٥)].

---

(١) معاني القرآن للنحاس ١٤٥/٤ .
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٤١٨٤/٦ .
(٣) جامع البيان للطبري ٧٦/١٥ .
(٤) جامع البيان للطبري ٧٦/١٥ .
(٥) بحر العلوم للسمرقندي ٣٠٨/٢، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٤١٨٤/٦ ، أحكام القرآن لابن العربي ١٩١/٣ .

القول الطيب في الدعوة إلى الله :

وإذا كان القول الطيب والكلام الحسن مأموراً به المسلم في حديثه مع إخوانه المسلمين، فهو مأمور به أيضاً في حديثه ودعوته لغير المسلمين، فلقد أمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن يخاطبا فرعون في دعوته إلى دين الله بألين القول وأحسنه مع طغيانه وادعائه الربوبية، فقال تعالى: {ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ} [طه:٤٣،٤٤] قال ابن كثير :"هذه الآية فيها عبرةٌ عظيمةٌ، وهو أن فرعون في غاية العُتُوّ والاستكبار، وموسى صفوة اللَّه من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أُمر ألا يخاطب فرعونَ إلا بالملاطفة واللّين"[(١)]، وللمفسِّرين في المراد بالقول الليّن في الآية أربعة أقوال:

الأول: هو قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو رواية الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبه قال عكرمة[(٢)] .

الثاني: القول الليّن هو {فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ} [النازعات: ١٨،١٩] وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه، ورواية أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل[(٣)]، قال أبو حيان :"وهذا من لطيف الكلام إذ أبرز ذلك في صورة الاستفهام والمشُورة والعرض لما فيه من الفوز العظيم"[(٤)] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٩٤/٥ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١٦٠/٣ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٩٤/٥ .

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٢٨/٣ ، زاد المسير لابن الجوزي ١٦٠/٣ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٥/١٤ .

(٤) البحر المحيط لأبي حيان ٣٣٦/٧ .

الثالث: أي: كَنّيَاه، وهو قول علي رضي الله عنه، وبه قال مجاهد وسفيان الثوري[(١)].

الرابع: القول الليّن: أن موسى أتاه، فقال له: تؤمن بما جئتُ به وتعبد ربَّ العالمين، على أن لكَ شبابك فلا تهرم، وتكون مَلِكاً لا يُنزع منك حتى تموت، فإذا متَّ دخلتَ الجنة، فأعجبه ذلك، فلما جاء هامان، أخبره بما قال موسى، فقال: قد كنتُ أرى أن لكَ رأياً، أنت ربٌّ أردتَ أن تكون مربوباً؟! فقلبه عن رأيه. وهو قول السدّي[(٢)].

ولعل تنكير القول في قوله: {قَوْلًا لَّيِّنًا} يدلُّ على أنه يشمل كل قول فيه ليّنٌ ولطَافَة، لأن اللّيْن من شعار الدعوة إلى الله تعالى، فهو كل كلام دالٍ على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الاستجابة للدعوة، فقول الداعي إلى الله أحسن قول في مضمونه ولفظه كما قال تعالى: :{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ} [فصلت:٣٣] . والقول الليّن ينبغي أن يكون له ضابطه الشرعي الذي لا يخرجه عن سلامة النية ونبل الغاية، لاسيما إذا كان بين الرجال والنساء، فلا يكون قولاً ليناً يُفهم منه الخضوع والميل، يقول تعالى مخاطباً أطهر نساء العالمين : {يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا} [الأحزاب:٣٢] يقول ابن العربي :" أَمَرَهُنَّ اللَّه تعالى أن يكون قولهن جَزْلاً، وكلامهنّ فصلاً، ولا يكون على وجهٍ يُحدِثُ في القلب علاقةً بما يظهر عليه من اللّين الْمُطْمِع للسامع،

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٤٢٣/٧ ، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٤٦٤٥/٧، معالم التنزيل للبغوي ٢٦٣/٣

(٢) التفسير الوسيط للواحدي ٢٠٧/٣، زاد المسير لابن الجوزي ١٦٠/٣، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل٢٥٤/١٣.

وأخذ عليهنّ أن يكون قولهن معروفاً"[١]، وللمفسّرين في معنى الخضوع بالقول في الآية خمسة أقوال :

الأول: أي: فلا ترقّقن وتُلِن القولَ، وهو قول السدّي والفراء وابن قتيبة[٢].

الثاني: فلا ترخصن بالقول، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

الثالث: أي: فلا تتكلمن بالرّفَث، وهو قول الحسن[٤].

الرابع: ما يدخل من كلام النساء في قلوب الرجال، وهو قول ابن زيد[٥].

الخامس: الكلام الذي فيه ما يهوى المريبُ، وهو قول الكلبي[٦].

والخضوع بالقول يشمل هذه المعاني كلها، فكلُّ كلامٍ يمكن أن يحرّك قلبَ المريب فإنه من الخضوع بالقول المنهيَّة عنه المرأة ، ودفعاً لتوهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول بعد نهيهنّ عن الخضوع فيه قال تعالى : {**وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**} قال السعدي: "أي: غير غليظ ولا جافّ، كما أنه ليس بليِّنٍ خاضع"[٧].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٥٦٨/٣ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٣٤٢/٢ ، غريب القرآن لابن قتيبة ص٣٥٠ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠٩/٦.

(٣) النكت والعيون للماوردي ٣٩٨/٤ ، البحر المحيط لأبي حيان ٤٧٥/٨ ، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي٨١/١١.

(٤) تفسير يحي بن سلام ٧١٥/٢ ، البحر المحيط لأبي حيان ٤٧٥/٨ .

(٥) النكت والعيون للماوردي ٣٩٨/٤ ، المحرر الوجيز لابن عطية ٣٨٢/٤ .

(٦) تفسير يحي بن سلام ٧١٥/٢ ، البحر المحيط لأبي حيان ٤٧٥/٨ .

(٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١٥٠/٤ .

المبحث الرابع

الجهر بالسوء من القول لمن ظُلِم

أخبر الله تعالى أنه لا يحب المجاهرة بقول السوء إلا لمن وقع عليه ظُلمٌ، فقد رخَّص له أن ينتصر لنفسه ويجهر بالقول عن ظلم ظالمه له، فقال تعالى : {لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾} [النساء:١٤٨] قال الراغب الأصفهاني: "سمَّى الجهرَ بالسُّوء سُوءً تنبيهٌ أنه لو لم يكن ذلك على سبيل المقابلة لكان سوءاً، لفظُهُ خبرٌ، ومعناه للإباحة، كأنه قال: لا يجهر بذلك إلا المظلوم"(١).

وقد ذكر المفسّرون في سبب نزول الآية قولين :

الأول : أنَّ ضيفاً تَضيَّف قوماً، فأساؤوا قِرَاه، فاشتكاهم، فنزلت الآية رخصةً في أن يشكو، قاله مجاهد(٢).

الثاني : أنَّ رجلاً نَالَ من أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه والنَّبي ﷺ حاضرٌ، فسَكَتَ عنه أبوبكر مراراً، فقام النبي ﷺ ، فقال أبوبكر: يا رسول الله شتمني فلم تقل له شيئاً، فأخبره النبي ﷺ أن مَلَكاً كان يجيب عنه، فلما ردَّ ذهب الملَكُ، وجاء الشيطان، فنزلت الآية، وهذا قول مقاتل(٣).

وللمفسِّرين في معنى هذه الآية أربعة أقوال :

الأول: أنَّ الله لا يحب أن يجهر الإنسانُ بالدعاء على أحدٍ، إلا من ظُلِم، فإن الله لا يكره ذلك منه، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والحسن والسدّي(٤)، وصحَّحه ابن العربي(٥).

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ٢١٠/٤ .
(٢) أسباب النزول للواحدي ص١٨٦ ، المحرر الوجيز لابن عطية ١٢٩/٢ .
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٤١٧/١ .
(٤) جامع البيان للطبري ١/٦ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١١٠٠/٤ ، النكت والعيون للماوردي٥٣٩/١.
(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٦٤٤/١ .

الثاني: أنَّ الله لا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِم فيُخبِر بما نيل منه، وهو قول مجاهد والزجاج[(١)].

الثالث: هو أنَّ الرجلَ ينزل بالرجلِ لقَرْيِهِ فلا يُقْرِيه، فله أن ينال من الذي لم يُقرِه، وهو قول الضحاك ومجاهد في رواية ابن أبي نُجيح، وبه قال الفراء وابن قتيبة[(٢)].

الرابع: أنه لا يجوز إظهار الأحوال المستورة، لأن ذلك يصير سبباً لوقوع الناس في الغيبة، ولكن من ظُلِم فيجوز إظهار ظلمه، وهو قول الأصمّ[(٣)].

والذي يظهر لي أن ما ذكر في سببي نزول الآية وفي هذه الأقوال في معنى الجهر بالسوء لمن ظُلم إنما هي أمثلةٌ لبعض أنواع الظلم والجهر فيها بالسوء من المظلوم، وأنواع الظلم والجهر بالقول من المظلوم أوسع وأعمّ مما ذكر فيها، ويدلُّ على هذا العُموم قولُه تعال: {وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ} [الشورى:٤١]، على أن الذي وقع عليه الظلم لا يجوز له أن يعتدي في قوله، ويتجاوز العدل فيه امتثالاً لقوله تعالى: {وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ} [الأنعام:١٥٢]، قال الحسن :"لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم فقد رُخِّصَ له أن يدعو على من ظَلَمَه، من غير أن يعتدي"[(٤)]، وقال ابن جريج :"يُجازِيه بمثل فعله، ولا يزيد عليه"[(٥)].

---

(١) جامع البيان للطبري ٢/٦ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٢٥/٢، زاد المسير لابن الجوزي ٤٩١/١ .

(٢) تفسير مجاهدص٢٩٥، معاني القرآن للفراء ٢٩٣/١، غريب القرآن لابن قتيبة ص١٣٦، بحر العلوم للسمرقندي٣٥٢/١.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٢٥٤/١١ ، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٩٩/٧ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١١٠٠/٤ .

(٥) البحر المحيط لأبي حيان ١١٥/٤ .

وقد ورد في قوله: {إِلَّا مَن ظُلِمَ} قراءة أخرى بفتح الظاء واللام في {ظَلَم} وهي قراءة عبدالله ابن عمرو رضي الله عنه وزيد بن أسلم والضحاك وابن أبي إسحاق وابن المسيّب وسعيد بن جبير[(١)].

وللمفسِّرين في معنى هذه القراءة قولان :

الأول: إن الله لا يحب الجهر بالسوء من القول، إلا من ظَلَم فلا بأس أن يُجهَر له بالسوء من القول، قال ابن الجوزي :"فعلى هذا تكون (إلا) في هذا المكان استثناءً منقطعاً، ومعناها: لكن المظلوم يجوز أن يجهرَ لظالمه بالسوء"[(٢)]، قال ابن زيد: "يقول: إلا من أقام على ذلك النفاق، فيُجهر له بالسُّوء حتى يَنْزَع. قال: وهذه مثل: {وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ} [الحجرات:١١]، أن تسميه بالفسق {بَعْدَ الْإِيمَانِ}، بعد إذ كان مؤمنًا {وَمَن لَّمْ يَتُبْ} من ذلك العمل الذي قيل له {فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} قال: هو شرٌّ ممن قال ذلك"[(٣)].

الثاني: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول، لكن الظالم يجهر بذلك ظُلماً واعتداءً[(٤)]، قال الفراء:" فيكون مثل قول الله تبارك وتعالى: :{لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} [البقرة:١٥٠] فإن الظالِمَ لا حُجَّةَ لَهُ، وكأنّه قَالَ: إلا من ظلم فخلّوه"[(٥)].

---

(١) جامع البيان للطبري ٣/٦، الهداية لمكي١٥١٠/٢، معالم التنزيل للبغوي ٧١٦/١، زاد المسير لابن الجوزي٤٩١/١.

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٤٩١/١ .

(٣) جامع البيان للطبري ٣/٦ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٢٥/٢ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٢٩٣/١ .

المبحث الخامس

عاقبة القول في الآخرة

لقد توافرت النُّصوصُ من الكتاب والسنة على عظيم عاقبة القول وما يلفظ به اللسان من الخير والشر على الإنسان في الآخرة، فإن حَفِظ الإنسانُ لسانَه عن قول السوء، وجمَّلَهُ في كل مَنْطِقِه بالقول الطيب والكلام المحمود وفق مراد الله تعالى كانت عاقبته في الآخرة الفوز والفرح في جنة النعيم، وإن أطلق للسانه العنان، وتكلم بما يُرضي الشيطان، كانت عاقبته في الآخرة الخيبة والخسران، فعن سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال : قلت: يا رسول الله، ما أَخْوَفُ ما تخاف عليَّ؟ قال: فأخذَ بلسان نفسه، ثم قال: (هذا)(١)، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بلسانه وقال: (كُفَّ عليك هذا) فقلت : فقلت: يا رسول الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال:(ثكلتك أُمّك يا معاذ، وهل يَكبُّ الناس في النَّار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم، إلا حصائدُ ألسنتهم؟)(٢)، قال ابن رجب :" وظاهر حديث معاذ يدلُّ على أنَّ أكثر ما

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤١٣/٣ ، والترمذي في السنن ١٨٥/٤ (٢٤١٠) وقال :"هذا حديثٌ حسنٌ صحيح"، وابن ماجة في السنن ١٣١٤/٢(٣٩٧٢)، والطبراني في المعجم الكبير ٦٩/٧ (٦٣٩٦)، والحاكم في المستدرك ٣٤٩/٤ (٧٨٧٤) وقال :"حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وابن حبان في الصحيح ٦/١٣ (٥٦٩٩)، والبيهقي في الآداب ص١٢١(٢٩١) ، وفي شعب الإيمان ٨/٧ (٤٥٧٢)، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشَّاف ٢٣٠/٣ :"وهو سندٌ صحيحٌ، رجاله كلُّهم ثقات" .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٤٤/٣٦ ، ومعمر بن راشد في الجامع ١٩٤/١١(٢٠٣٠٣)، والطيالسي في المسند ٤٥٥/١ (٥٦١)، وابن أبي شيبة في المصنف ٣٢٠/٥(٢٦٤٩٨)، وابن ماجة في السنن ١٣١٤/٢(٣٩٧٣)، والترمذي في السنن ٣٠٨/٤(٢٦١٦) وقال : "هذا حديثٌ حسنٌ صحيح"، والنسائي في السنن الكبرى ٢١٤/١٠(١١٣٣٠)، والطبراني في المعجم الكبير ٧٣/٢٠(١٣٧)، والبزار في البحر الزخار ٨٩/٧ (٢٦٤٣) وحسَّن إسناده، والحاكم في المستدرك ٤٤٧/٢ (٣٥٤٨) وقال:" هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشَّيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٣/٧(٤٦٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٠/١٠:"رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات".

يدخل به الناس النَّار النُّطْقُ بألسنتهم، فإنّ معصية النّطق يدخل فيها الشركُ وهي أعظم الذُّنوب عند اللَّه عزّ وجلّ، ويدخل فيها القولُ على اللَّه بغير علمٍ، وهو قَرين الشرك، ويدخل فيها شهادةُ الزُّور الَّتي عَدَلَت الإشراكَ باللَّه عزّ وجلّ، ويدخل فيها السّحر والقذف وغير ذلك من الكبائر والصَّغائر؛ كالكذب والغيبة والنَّميمة، وسائر المعاصي الفِعلية لا يخلو غالباً من قَوْلٍ يقترن بها يكون مُعِيناً عليها"[(١)].

جزاء القول السيء في الآخرة :

ولقد أخبر الله تعالى أنه يكتب قول اللسان ويجازي العبدَ عليه يوم القيامة، فحينما تكلم العاصُ ابن وائل السَّهمي بكلام الكفر والاستكبار عن طاعة الله أخبر تعالى أنه كتب قولَه وسيجازيه عليه، فقال تعالى : {أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا} [مريم:٧٧، ٨٠] .

وللمفسّرين في معنى{وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ} ثلاثة أقوال :

الأول: أن الله يسلبه ما أعطاه في الدنيا من المال والولد، وإهلاكه وإبطال مُلكه، وهو قول ابن عباس وقتادة، وبه قال الزجاج[(٢)] .

الثاني: بمعنى : يورث ما يقول أنه يعطى في الجنة ما يُعطى المؤمنون، فنرثه عنه ويُحرم منه ويُعطى لغيره، وهو رواية أبي صالح عن ابن عباس،

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ١٤٧/٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٤٥/٣ ، التفسير الوسيط للواحدي ١٩٥/٣ ، زاد المسير لابن الجوزي ١٤٦/٣ .

وبه قال مقاتل بن سليمان والفراء[(١)]، قال السمعاني: "فيكون الإرث راجعاً إلى ما تحت القول، لا إلى نفس القول"[(٢)].

الثالث: أي: نحفظ عليه ما يقول، حتى نوفّيه عقوبَته عليه، وهو قول النحاس[(٣)].

قلت: والأقوال متقاربة في معنى الآية، فالقول بسلبه وحرمانه في الدنيا والآخرة يدخلان في معنى {وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ} من إعطائه ما يُعطى المؤمنون في الجنة، ولذا قال الله تعالى بعدها دلالة على سلبه وعقوبته عكس ما أراد: { قۚ قۚ}، وهذا السلب والحرمان كان من نتيجة الحفظ عليه وكتابة ما يقوله كما قال تعالى قبلها:{ {وَيَأْتِينَا فَرْدًا}، وعندما أنزل الله تعالى قولَه: {كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ} [البقرة:٢٤٥] قال المنافقون: إنما يستقرض الفقيرُ من الغني، فسمع الله كلامهم، وكتب ما قالوا، وأنزل قوله تعالى: :{لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ}[(٤)] [آل عمران:١٨١] قال الواحدي: "{سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ} أي: نأمر الحَفَظَةَ بإثبات قولَهم في صحائف أعمالهم، وذلك أظهرُ في الحُجَّة عليهم"[(٥)]، وذكر الفخر الرازي أن الوعيد عليهم بقوله: {سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ} يتضمن أموراً ثلاثة:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٦٣٨/٢ ، معاني القرآن للفراء ١٧١/٣ ، زاد المسير لابن الجوزي ١٤٦/٣ .

(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٣١٢/٣ .

(٣) معاني القرآن للنحاس ٣٥٧/٤ .

(٤) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب ٩١/٢ ، تفسير ابن المنذر ٥١٧/٢، أسباب النزول للواحدي ص١٣٤ .

(٥) التفسير الوسيط للواحدي ٥٢٨/١ .

الأول: أن يكون المراد من كَتْبِهِ عليهم إثبات ذلك عليهم، وأنه لا يُلغى ولا يزول ولا يُنسى .

الثاني: سيُكتب ما قالوا في الكتب التي تُكتب فيها أعمالهم ليقرأوها يوم القيامة .

الثالث: سنكتب عنهم هذا الجهلَ في القرآن حتى يعلم الخلقُ إلى يوم القيامة شدَّةَ تعنُّت هؤلاء وجهلهم[1] .

ومن سوء عاقبة القول على القائلين في الآخرة ما أخبر الله تعالى به عن قول المشركين وافترائهم على الله بنسبة البنات له، ويزعمون أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وفي المقابل يجعلون لأنفسهم الذكور، فتوعَّدهم الله تعالى على ما قالوا بأفواههم ووصفته ألسنتُهم بالعذاب الشديد يوم القيامة، فقال جل وعلا:{ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ} [النحل:٦٢] وفي المراد بالحسنى في الآية ثلاثة أقوال للمفسّرين:

الأول : أنها البنون، وهو قول مجاهد وقتادة والسدّي[2] .

الثاني : أنها الجنة في المعاد، وهو قول يمان وابن قتيبة[3] .

الثالث : أن لهم من الله الجزاء الحَسَن، وهو قول الزجاج[4] .

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٤٤٧/٩ .

(٢) جامع البيان للطبري ١٢٧/١٤، تفسير القرآن لابن أبي حاتم ٢٢٨٧/٧، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين٤٠٨/٢.

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٤٤ ، الكشف والبيان للثعلبي ٢٤/٦ ، معالم التنزيل للبغوي ٨٤/٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٧/٣ .

وقوله تعالى بعدها : {لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ} يقوِّي أن المراد بالحسنى الجنة، حيث نفى ما وصفوه لأنفسهم كذباً بدخول الجنة، ويدلّ عليه أيضاً قولُه تعالى في آية أخري : {وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ} [فصلت:٥٠] .

وقوله : {وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ} للمفسّرين في معناها ثلاثة أقوال :

الأول : وأنهم مَنْسِيُّون، ومضيَّعون ومتروكون في النار، وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير والفراء[(١)] .

الثاني : مُبعَدُون في النار، وهو مروي عن سعيد بن جبير[(٢)] .

الثالث : مُعجَّلُون إلى النار، وهو قول قتادة والحسن والزجاج[(٣)] .

والذي تؤيده اللغة هو معنى الترك والنسيان، قال أبو منصور الأزهري : "وَالْعرب تَقول: أفرطت مِنْهُم نَاساً، أَي: خَلّفْتهُم ونَسِيتُهم"[(٤)]، ويقول ابن جرير : " فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل، ففسد أن يكون له وجه في الصحة، صحّ المعنى الآخر، وهو الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك، وذلك أنه يُحكى عن العرب: ما أَفْرطت ورائي أحدًا: أي ما خَلَّفته؛ وما فرطته: أي لم أخلفه"[(٥)] .

---

(١) معاني القرآن للفراء ١٠٧/٢، جامع البيان للطبري ١٢٨/١٤ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٧/٣ ،

(٢) جامع البيان للطبري ١٢٩/١٤ .

(٣) جامع البيان للطبري ١٢٩/١٤ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٧/٣، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٢٨٧/٧، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين٤٠٨/٢.

(٤) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ٢٢٦/١٣ .

(٥) جامع البيان للطبري ١٢٩/١٤ .

وممن توعدَّه الله بالعذاب في الآخرة بسبب قوله ولفظ لسانه الذي يهمز الناس ويلمزهم فقال تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ} [الهمزة:١،٤]، وللمفسّرين في الذي نزلت فيه الآية ستة أقوال:

الأول: الأخنس بن شريق الثقفي، وهو قول ابن عباس والسدّي والكلبي .

الثاني: الوليد بن المغيرة، وهو قول مقاتل وابن جريج .

الثالث: العاص بن وائل السهمي، وهو قول عروة بن الزبير .

الرابع: جميل بن عامر الجمحي، وهو قول مجاهد وابن أبي نُجيح .

الخامس: أميَّة بن خلف، وهو قول ابن إسحاق .

السادس: أُبيّ بن خلف، ذكره الماوردي وابن الجوزي[١] .

ولا ريب أن الوعيد في الآية لا يختص فيمن نزلت فيه، وإنما هو عام في كل من اتصف بالهمز واللمز، وهذا هو قول أكثر المفسِّرين[٢]، قال مجاهد : "ليست بخاصة لأحد، وإنما كل من كانت هذه صفته"[٣]، قال ابن جرير : "والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله عمَّ بالقول كل هُمزة لُمَزة، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الوصوف بها، كائناً من كان من الناس"[٤] .

وفي معنى الهَمْز واللَّمْز في الآية سبعة أقوال للمفسِّرين :

---

(١) انظر هذه الأقوال: النكت والعيون للماوردي٦/٣٣٥، زاد المسير لابن الجوزي ٤/٤٨٨، الجامع لأحكام القرآن٢٢/٤٧٠.

(٢) النكت والعيون للماوردي٦/٣٣٥، تفسير القرآن للعزّ بن عبدالسلام٣/٤٨٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٢٢/٤٧١.

(٣) جامع البيان للطبري ٣٠/٢٩٣، الكشف والبيان للثعلبي ١٠/٢٨٥، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٢٠/٤٩٠.

(٤) جامع البيان للطبري ٣٠/٢٩٣ .

الأول: أن الهُمَزة: المغتاب، واللمزة: العيَّاب، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما[١].

الثاني: أن الهُمَزة: الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللمزة: الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم، وهو قول ابن زيد[٢].

الثالث: الهمزة: الذي يهمز في الوجه إذا أقبل، واللمزة: الذي يلمزه من خلفه إذا أدبر، وهو قول الحسن وعطاء وأبي العالية[٣]، وقال التستري وعلي بن سليمان بعكس هذا القول[٤].

الرابع: الهُمَزة: الذي يهمز بالعين، واللمزة: الذي يلمز باللسان، وهو قول قتادة وابن أبي نجيح والمبرد[٥]، وقال الثوري بعكس هذا القول[٦].

الخامس: الهُمَزة: الطعّان في الناس، واللمزة: الطعّان في أنساب الناس خاصة، وهو قول مجاهد[٧].

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٩٢/٣٠ ، النكت والعيون للماوردي ٣٣٥/٦، زاد المسير لابن الجوزي ٤٨٨/٤ .

(٢) جامع البيان للطبري ٢٩٢/٣٠ ، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٨٤٢٧/١٢ ، النكت والعيون للماوردي٣٣٥/٦ .

(٣) جامع البيان للطبري ٢٩٢/٣٠ ، الكشف والبيان للثعلبي ٢٨٥/١٠ ، زاد المسير لابن الجوزي ٤٨٨/٤ .

(٤) تفسير التستري ص٢٠٥ ، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٧٠٠٣/١١ .

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ٨٤٢٧/١٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية ٥٢١/٥، باهر البرهان للغزنوي ١٣٤٤/٣ .

(٦) الكشف والبيان للثعلبي ٢٨٥/١٠ ، معالم التنزيل للبغوي ٣٠٣/٥ .

(٧) جامع البيان للطبري ٢٩٢/٣٠، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم٣٤٦٣/١٠، زاد المسير لابن الجوزي ٤٨٨/٤.

السادس: الهُمَزة: النَّمامُ الذي ينمُّ الكلامَ إلى الناس، واللُّمزة: الذي يلقِّب الرجلَ بما يكره، وهو قول مقاتل[(١)].

السابع: أنهما بمعنى واحد؛ وهو الذي يغتاب الناس ويغضُّ منهم، وهو قول مرّة الهمذاني والزجاج[(٢)].

والذي يظهر أن الهُمَزة واللُّمَزة تتناول كلَّ من اتَّصف بهذه الصفات المذكورة، وذلك أن المراد بالهُمَزة واللُّمَزة الكسرُ من أعراض الناس، والطعن فيهم، والغَضّ من أقدارهم بأي كلام أو إشارة باليد أو العين، ولذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في وصف أصحابهما بأنهم المفرقون بين الأحبة، الناعتون للناس بالعيب[(٣)]، قال الفخر الرازي: "واعلم أن جميع هذه الوجوه متقاربة، راجعة إلى أصلٍ واحدٍ وهو الطعن وإظهار العيب"[(٤)].

جزاء القول الطيب في الآخرة :

وإذا كانت هذه عاقبة أصحاب القول السوء والكلام الخبيث في الآخرة، فإن أصحاب القول الطيب في الدنيا يوفَّقون إليه في الآخرة ويُهدَون إلى النطق به، جزاء العمل من جنسه، فيقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٨٣٨/٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٦١/٥ ، الكشف والبيان للثعلبي ٢٨٥/١٠، المحرر الوجيز لابن عطية ٥٢١/٥ .

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٣٠٣/٥ ، مفاتيح الغيب للرازي ٢٨٣/٣٢، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٤٨٨/٢٠ .

(٤) مفاتيح الغيب للراي ٢٨٣/٣٢ .

وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ} [الحج:٢٣،٢٤] .

وللمفسّرين في المراد بالطيِّب من القول ستة أقوال :

الأول: قول لا إله إلا الله والحمد، وهو قول ابن عباس ومقاتل والكلبي[١] وزاد ابن زيد: والله أكبر[٢] .

الثاني: أنه الإيمان بالله، وهو قول الحسن[٣] .

الثالث: القرآن ، وهو قول السدّي وقطرب[٤] .

الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذكره الماوردي والسمعاني[٥] .

الخامس: هدوا إلى الطيب من القول في الخصومة إذ قالوا: الله مولانا ولا مولى لكم. وهو قول أبي العالية[٦] .

السادس: ألهموا التسبيح والتحميد كما ألهموا النفس، وهو قول قتادة[٧] .

والذي يظهر أن القول الطيب يعمّ هذا وغيره من الأذكار والكلام الطيب الذي يقولونه ويسمعونه في الجنة كما قال تعالى:{ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ١٢١/٣ ، تفسير يحي بن سلام ٣٦١/١ ، معالم التنزيل للبغوي ٣٣٢/٣.

(٢) جامع البيان للطبري ١٣٦/١٧ ، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٤٨٣/٨ .

(٣) تفسير يحي بن سلام ٣٦١/١ .

(٤) النكت والعيون للماوردي ١٥/٤ ، التفسير الوسيط للواحدي ٢٦٤/٣، زاد المسير لابن الجوزي ٢٢٩/٣ .

(٥) النكت والعيون للماوردي ١٥/٤ ، تفسير القرآن للسمعاني ٤٣١/٣ .

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٤٨٣/٨ ، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي ٣٢/٩ .

(٧) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٤٠٣/٧ .

ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾} [إبراهيم:٢٣] وقال تعالى: {لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا} [الواقعة:٢٥،٢٦] وقوله تعالى: {دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [يونس:١٠] وقوله تعالى: {وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ} [الرعد:٢٣،٢٤] وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال سمعت النبي ' يقول : (إنّ أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون) قالوا: فما بال الطعام؟ قال: (جُشَاءٌ ورَشْحٌ كرَشح المسك، يُلهمون التسبيح والتَّحميد، كما تلهمون النَّفَس)[1].

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، (٢٨٣٥) باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم فيها بكرةً وعشياً .

الخاتمـــة

فبتوفيق الله تعالى انتهيت من إعداد هذا البحث ، وقد خلصت فيه بالنتائج الآتية:

١-إن الله تعالى لا يخفى عليه من قول الإنسان شيءٌ، وأن الملَك الرقيب والعتيد يكتب قول الإنسان كلَّه .

٢-إن العلم بإحاطة الله وعلمه بكل قولٍ يوجب الإخلاص له تعالى، والمراقبة في كل ما يلفظ به اللسان .

٣-إن خير ما قاله اللسان ونطق به من الكلام هو ذكر الله تعالى .

٤-أن جمهور المفسّرين على أن المراد بقوله : {ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ}[النور:٢٦] بمعنى الكلمات الخبيثة للخبيثين، والكلمات الطيبة للطيبين .

٥- دلَّ الدليل الصحيح على أن قول الزور والشهادة بالكذب من أكبر الكبائر .

٦- الأثر البيِّن للقول في تعامل الناس وعلاقة بعضهم ببعض جماعة وأفراداً .

٧-أن المسلم إذا عُدم ما يقدّمه للسائل المحتاج من المال فلا يُعدم من طيب الكلام وجميل المقال.

٨- أن الله تعالى لا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم .

٩- أن قول الإنسان وما يلفظ به لسانه في الدنيا من أعظم ما يكون سبباً لنجاته أو هلاكه يوم القيامة .

التوصيات

١-أوصي نفسي وكلَ مسلمٍ أن يجعل من نفسه رقيباً على قوله وما ينطق به لسانُه ليسعد في عاجله وآجله، وأن يتذكَّر دائماً قولَ الله تعالى: {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[ق:١٨].

٢- أوصي نفسي وكلَ مسلمٍ أن لا يجعل من لسانه ومقاله سبباً لخيبته وخسرانه، وأن يعلم أن خير ما نطق به لسانُه هو ذكر الله تعالى وتلاوة قرآنه، ليسعد بجنته ورضوانه.

٣- أوصي كل من يتعامل مع وسائل التواصل الاجتماعي الالكترونية المنتشرة في هذا الزمن – وما أكثرهم – أن يتقوا الله في ما يقولون ويتحدَّثون به من خلالها، فإنها سريعة الانتشار والتأثير في الأعداد الكبيرة بين الناس، وليعلموا أن كل كلمة يقولونها مُسَطَّرة عند الله في كتابٍ لا يضل ربي ولا ينسى كما قال تعالى: {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ} [القمر:٥٣] .

فهرس المصادر والمراجع

١- الأحاديث المختارة لضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي. دراسة وتحقيق: الدكتور عبد الملك بن دهيش. دار خضر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٠م.

٢- أحكام القرآن لمحمد بن عبدالله العربي . تخريج : محمد عبدالقادر. دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٠٨هـ.

٣- أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي . تحقيق: عصام بن عبدالمحسن الحميدان. دار الإصلاح، الدمام ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ .

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٥- باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي . المحقق: سعاد بنت صالح بابقي. الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، عام ١٤١٩هـ .

٦- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي . تحقيق : علي محمد معوّض وزملاؤه . دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ه .

٧- البحر المحيط لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي. دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣ه .

٨- البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير لعمر بن علي ابن الملقن. المحقق: مصطفى أبو الغيط وزملاؤه. الناشر: دار الهجرة، الرياض، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ.

٩- تأويلات أهل السنة لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي . المحقق: د. مجدي باسلوم . الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ .

١٠- تأويل مشكل القرآن لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. المحقق: إبراهيم شمس الدين. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .

١١- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري لمحمد عبد الله بن يوسف الزيلعي. المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد. الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٤هـ.

١٢- تفسير التستري لسهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري. المحقق: محمد باسل عيون السود . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ .

١٣- تفسير الراغب الأصفهاني للحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني . تحقيق : د. عادل بن علي الشدي . مدار الوطن للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٤- تفسير سفيان الثوري لأبي عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م .

١٥- تفسير الشافعي لمحمد بن إدريس بن العباس بن عثمان المطلبي القرشي المكي. تحقيق: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان. الناشر: دار التدمرية، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

١٦- تفسير ابن فورك لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني . تحقيق: علال عبد القادر بندويش. الناشر: جامعة أم القرى، السعودية، الطبعة الأولى١٤٣٠هـ.

١٧- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير الدمشقي. ط/ دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ.

١٨- تفسير القرآن العظيم عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، ابن أبي حاتم. تحقيق : أسعد محمد الطيب. مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤١٧ه.

١٩- تفسير القرآن لعبدالرزاق بن همّام الصنعاني . تحقيق : د. مصطفى مسلم محمد . مكتبة الرشد ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٢٠- تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي السمعاني . تحقيق : أبي تميم ياسر بن إبراهيم ، أبي بلال غنيم بن عباس. دار الوطن، الرياض، الأولى ١٤١٨هـ.

٢١- تفسير القرآن من الجامع لعبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي . تحقيق: ميكلوش موراني. الناشر: دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م .

٢٢- تفسير القرآن لمحمد بن إبراهيم ابن المنذر النيسابوري . تحقيق: سعد بن محمد السعد. دار النشر: دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٣- تفسير القرآن العزيز لمحمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري بابن أبي زَمَنِين. حقَّقه : أبو عبد الله حسين بن عكاشة وزميله. الناشر: الفاروق الحديثة، القاهرة، الأولى ١٤٢٣هـ .

٢٤- تفسير مجاهد بن جبر المكي . تحقيق : د. محمد عبد السلام أبو النيل . دار الفكر الإسلامي الحديثة ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .

٢٥- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي . الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

٢٦- تفسير مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى. تحقيق: عبد الله محمود شحاته . دار إحياء التراث ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .

٢٧- التفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي . تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وزملائه، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ

٢٨- تفسير يحيى بن سلام ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي البصري. تحقيق: الدكتورة هند شلبي . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ .

٢٩- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي . المحقق: محمد عوض مرعب. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م

٣٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي . تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . دار الفكر بيروت ، سنة ١٤٠٨هـ .

٣٢- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي. تحقيق د. عبد الله بن عبدالمحسن التركي . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ .

٣٣- جمهرة اللغة لمحمد بن الحسن بن دريد الأزدي. المحقق: رمزي منير بعلبكي. الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٣٤- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. تحقق : عبد الرزاق المهدي . دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ.

٣٥- السنة لابن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني . المحقق: محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٣٦- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي. المحقق: بشار عواد معروف .الناشر: دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،سنة النشر: ١٩٩٨م .

٣٧- سنن ابن ماجة للحافظ عبدالله بن محمد بن يزيد القزويني ، وبحاشيته زوائد البوصيري. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. المكتبة العلمية، بيروت، لبنان .

٣٨- السنن الكبرى للحافظ أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي . تحقيق: د.عبد الغفار البنداري، سيد كسروي. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤١١ه.

٣٩- السنن لأحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي . تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

٤٠- شرح السنة للحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي . تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش. ط/ المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٣ه .

٤١- شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي . الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢ه .

٤٢- الشريعة لمحمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ . المحقق: د. عبد الله الدميجي. الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠ه.
٤٣- شُعَب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٠هـ
٤٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ .
٤٥- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي . تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر . الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
٤٦- صحيح ابن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) لأبي حاتم محمد بن حبَّان البستي ترتيب : علاء الدين علي بن بلبان. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٤٧- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، المكتب الإسلامي، بيروت .
٤٨- غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت. بدون طبعة ولا تاريخ .
٤٩- غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري. تحقيق: أحمد صقر . الناشر: دار الكتب العلمية، السنة : ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

٥٠- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب لمحمد بن عُزير السجستاني. المحقق: محمد أديب عبد الواحد. الناشر : دار قتيبة، سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٥١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حَجَر العسقلاني . تحقيق : محب الدين الخطيب. دار الريان للتراث ، القاهرة، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

٥٢- فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن الحسيني القِنَّوجي.
عني بطبعهِ وقدّم له: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري. المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ١٤١٢هـ.

٥٣- الكشَّاف لمحمود بن عمر الزمخشري . مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر، الطبعة الأخيرة ١٣٩٢هـ.

٥٤- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لمحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري. المحقق: عبد العزيز الشهوان. الناشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ .

٥٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي . تحقيق: أبي محمد بن عاشور. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٢ه.

٥٦- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن. تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين. دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .

٥٧- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي . تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وزميله. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى١٤١٩هـ .

٥٨- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري . تحقيق: محمد فواد سزگين . الناشر: مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة ١٣٨١هـ .

٥٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ علي بن أبي بكر الهيثمي . دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ .

٦٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٦١- المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري. تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٢- المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط/الخامسة ١٤٠٥هـ

٦٣- المصنَّف في الأحاديث والآثار للحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبة . تحقيق : سعيد محمد اللحام . دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٦٤- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي . تحقيق: محمد عبدالله النمر وزملاؤه. ط/دار طيبة، الرياض، السعودية، سنة١٤٠٩هـ.

٦٥- معاني القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النحَّاس . تحقيق: محمد علي الصابوني . الناشر: جامعة أم القرى ، مكة المرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ه .

٦٦- معاني القرآن لأبي الحسن المجاشعي ، البلخي ثم البصري ، المعروف بالأخفش الأوسط . تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة. مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .

٦٧- معاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السري بن سهل الزجاج . تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي. عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٦٨- معاني القرآن ليحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء . المحقق: أحمد يوسف النجاتي وزملاؤه. الناشر: الدار المصرية للتأليف، مصر، الطبعة الأولى .

٦٩- المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني . تحقيق : حمادي بن عبدالمجيد سلفي. دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ نشر : مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

٧٠- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لمحمد بن عمر الفخر الرَّازي . دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة .

٧١- مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي . المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٧٢- النُّكت الدَّالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام لأحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب. تحقيق: علي بن غازي التويجري وزملاؤه ، ط/ دار القيم، دار ابن عفان، الطبعة الأولى١٤٢٤ه.

٧٣- النُّكت والعُيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البغدادي، الشهير بالماوردي. راجعه: السيد بن عبد المقصود .الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ه.

٧٤- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، لمكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا ،جامعة الشارقة، الطبعة الأولى١٤٢٩هـ.

* * *